الأستاذ خورشيد أحمد فارق في ضوء كتاباته

د. نعيم الحسن الأثري
الأستاذ المشارك، قسم اللغة العربية
بجامعة دلهي

كان الأستاذ خورشيد أحمد فارق من أعلام اللغة العربية وآدابها البارزين في شبه القارة الهندية الذين أفنوا حياتهم في سبيل العلم والتحقيق، فإنه كان محققا بارعا ومؤرخا متضلعا ومدرسا ماهرا. كانت شخصيته ذات جوانب مختلفة، يندر ظهور أمثاله، فأكرمه الله بغزارة المعارف في مختلف العلوم والفنون، والدقّة في الفهم والهمة في العمل، والصبر والحلم، والحلاوة في الكلام، والجودة الفائقة في الكتابة والتحرير.

كان يتقن عدة لغات وكان مكباً على الدرس والمطالعة. فانغماسه في القراءة واهتمامه بالكتب كان أشد للغاية حيث وجده من رآه مشغولا بالدراسة ومشغوفا بالتأليف ليلا ونهارا. بلغت مؤلفاته أكثر من خمسة وثلاثين في اللغة العربية والأردية والإنجليزية؛ كان يطبعها ويوزعها مجاناً. لم يزل مكرساً جهده في نشر العلم وتأليف الكتب إلى أن توفي في الخامس عشر من شهر نوفمبر عام ٢٠٠١م.

عاش للعلم ومات في سبيل العلم. وظل نموذجا للتفاني في الواجبات الأكاديمية. فكان مصداقا لقول الشاعر الأردوي:

ہمیں دنیا سے کیا مطلب مدرسہ ہے وطن اپنا
مریں گے ہم کتابوں پر ورق ہوگا کفن اپنا

كان أولَ أستاذ مشارك وأستاذ جامعي في قسم اللغة العربية بجامعة دلهي. ولد في حي شاه آباد ببريلي (أترابرادش) عام ١٩١٦م[١]، وكان والده الشيخ محمود حسن من كبار العلماء، تخرج في دار العلوم بديوبند وعمل محاضرا للغتين الفارسية والعربية في كلية الثانوية العليا الحكومية ببريلي.

١- أما تاريخ ولادته المسجل في جامعة دلهي فهو يوليو سنة ١٩٢٠م.

تعلم الأستاذ فارق اللغة العربية والفارسية من والده ثم بعد اجتياز الامتحان الثانوي العالي التحق بجامعة علي كره الإسلامية وحصل منها على شهادات البكالوريوس والماجستير والدكتوراه في العربية عام ١٩٤٤م. وهو من تلاميذ المحقق الكبير والمعروف في شبه القارة الهندية والبلدان العربية البروفيسور عبد العزيز الميمني (١٨٨٨-١٩٧٨م) وكان من التلامذة المعدودين الذين حصلوا على الدكتوراه بإشرافه.

بدأ حياتَه العلمية محاضرا سنة ١٩٤٣م بالالتحاق بإنجلوعربك كوليج، المعروفة حاليا باسم كلية ذاكر حسين دهلي، من أقدم المعاهد التعليمية في دلهي وكانت بنايتها القديمة أمام بوابة أجميري، البناية التي تقع فيها حاليا مدرسة إنجلو عربِك للثانوية العليا. وكان محلها قبلُ مدرسة غازي الدين خان التي أسست في العهد المُغَلي في سنة ١٧٩٢م. وخدم الكلية حتى عين أستاذا مشاركا للغة العربية في جامعة دلهي بقسم اللغة العربية والفارسية والأردوية وأصبح أستاذا (بروفيسورا) في سنة ١٩٧٢م. وبعد تقاعده في سنة ١٩٨١م انتقل إلى علي كره في البيت الذي بناه فيها ليقضي حياته العلمية فيه ولكنه قضى آخر أيام حياته في بيت ابنه البروفيسور رفيع العماد فينان في نيو دلهي.

مؤلفاته:

كان رحمه الله دقيق النظر في الأدب والنحو والصرف والبلاغة، والمنطق والفلسفة وعلم الكلام والجغرافيا والحضارة المدنية. ومؤلفاته خير شاهد على وسعة اطلاعه على هذه العلوم والمعارف. ترك بصمة أصابعه على شتى العلوم والفنون.

ومعظم مؤلفاته في اللغة الأردوية ولكن كلها يتعلق باللغة العربية والمصادر التاريخية العربية. وقد نشر كثيرا من مؤلفاته المفتي عتيق الرحمن (ت ١٩٨٤م) صاحب الأكاديمية المعروفة في دلهي "ندوة المصنفين" وكان الأستاذ فارق عضو شرف فيها وكان يفتخر لنسبته إليها. وقد حقق بعض الكتب العربية كما ألف بعض الكتب بالإنجليزية.

من أهم مؤلفاته رسالته المقدمة إلى قسم اللغة العربية بجامعة دلهي لنيل شهادة الدكتوراه المكتوبة باللغة الإنجليزية حول الداهية "زياد بن أبيه"، وكتاب "تاريخ الردة"، وكتاب "المنمّق في أخبار قريش"، وتاريخ الأدب العربي في مجلدين من العصر الجاهلي إلى العصر الأموي بعنوان:

History of Arabic Literature 2 volumes (Pre Islamic & Umayyad Periods).

ورسائل رسمية لثلاثة من خلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وتحليلاته العلمية الأدبية في قضايا تاريخية المتكونة من ١٨ مجلدا ضخما باللغة الأردية. وبالإضافة إلى ذلك له مؤلفات قيمة أخرى باللغة الأردية منها:

١- حضرت أبو بكر کےسرکاري خطوط (رسائل الخليفة أبي بكر الرسمية مترجمة إلى اللغة الأردوية مع النص العربي) دلهي (ط٣) ١٩٧٧م.

٢- حضرت عمر کے سرکاري خطوط (رسائل الخليفة عمر الرسمية المترجمة إلى اللغة الأردوية) دلهي (ط٢) ١٩٦٥م.

٣- حضرت عثمان کے سرکاري خطوط (رسائل الخليفة عثمان الرسمية المترجمة إلى اللغة الأردوية)، ندوة المصنفين، دلهي (ط١) ١٩٥٦م.

٤- عربي کي ايك قلمي كتاب سےتاريخ هند پر نئي روشني (أضواء جديدة على تاريخ الهند من مخطوط عربي) دلهي ١٩٧١م.

٥- قرن اول کا ايك سياسي مدبر (سياسي محنّك من القرن الأول أي المختار بن أبي عبيدة الثقفي المتوفى عام ٦٧هـ) دلهي ١٩٤١م.

٦- خلافت راشده کا اقتصادي جائزه (الاستعراض الاقتصادي للخلافة الراشدة) ١٩٧٧م.

٧- تاريخ رده (تاريخ الردة مترجما من العربية إلى الأردية) ١٩٦٣م.

٨- عربي لٹريچر ميں قديم هندوستان (الهند القديمة في الأدب العربي) دلهي ١٩٧٧م.

٩- اسلامي دنيا دسويں صدي عيسوي ميں(ترجمة أجزاء مهمة من أحسن التقاسيم

لمحمد بن أحمد المقدسي الباري المتوفى عام ٣٨٠هـ)

وكان رحمه الله أكثر اعتناءً بالتاريخ الإسلامي وبخاصة العصر الإسلامي الأول الذي وُضعت فيها اللِبَنات الأولى لصرح الحضارة الإسلامية الشامخة والذي يتسم بالأزمات والتقلبات التي كادت تَقْضِيْ على حياة الإسلام والمسلمين ولا سيما إثر وفاة النبي الكريم عندما ارتد عديد من القبائل عن الإسلام وتولى بعض الأعراب عن إيتاء الزكاة وعن الالتزام بالتعاليم الإسلامية.

فكان ميدان دراساته وبحوثه الذي كان يطمئن إليه ويجول ويصول فيه بكل دقة وتعمق وأمانة، هو التحقيق في التاريخ للعهد الإسلامي الأول، ولم يأخذه لومة لائم فيما كان يصل إليه من النتائج بعد بحوثه الجادة والعميقة.

أما كتابه تاريخ الردة فاقتبسه من مخطوط في دار الكتب بالقاهرة لكتاب الاكتفاء بما تضمنه من مغازي المصطفى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الثلاثة لسليمان بن موسى الكلاعي البلنسي المتوفى شهيدا عام ٦٣٤هـ، قام بتحقيقه، وطبع الكتاب من دلهي عام ١٩٧٠م. بالإضافة إلى المراجع المهمة الأخرى في هذا البحث.

ومن أهم مؤلفات صاحبنا رسائل رسمية لثلاثة من خلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وهي التي أدّت إلى توصيل سمعة الدكتور فارق إلى أقصى بلاد شبه القارة الهندية وجعلته عَلَمًا من أعلام القرن العشرين في مجال البحث والدراسة، فهي تُعتبر مصادر قيمة للتوجهات السياسية الإسلامية والتعرف على الجذور الوثيقة في المجتمع الإسلامي.

أما كتابه حول التاريخ الهندي بعنوان "تاريخ هند پر نئي روشني" في مجلدين باللغة الأردية هو مستمد من مخطوط نادر ثالث وهو مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري الدمشقي المولود في عام ٧٠٠هـ بالاستفادة من المراجع العربية العديدة.

أما كتابه "العالم الإسلامي في القرن العاشر" (اسلامي دنيا دسوين صدي مين) فألفه الدكتور فارق على أساس مؤلَّف عربي قديم عنوانه "أحسن التقاسيم في معرفة

الأقاليم" لأبي عبد الله شهاب الدين المقدسي (أحد علماء القرن العاشر). وإنه في الحقيقة رحلة للشيخ المقدسي تدل على تاريخ وجغرافيا العالم الإسلامي في عصره. والكتاب كما يتجلى من اسمه، كتاب قيم نافع جدا لطلبة اللغة العربية الهنود وغير الهنود كما عرض فيه خلاصة تجارب الأولين من أمثال أبي ريحان البيروني، وابن خرداذبه والنويري والقزويني ونحوهم.

كما ألف تاريخ الأدب العربي بالإنجليزية في مجلدين من العصر الجاهلي إلى العصر الأموي. وهو نافع جدا للطلاب والأساتذة على السواء.

أما مخطوطة "المنمق" التي حققها البحّاثة الأستاذ فارق وصححها وعلق عليها هي مخطوطة في أخبار قريش لمحمد بن حبيب البغدادي (المتوفى عام ٢٤٥ هـ/ ٨٥٩م). قام الأستاذ بتحقيقها على إلحاح المرحوم الدكتور عبد المعيد خان مدير مكتبة دائرة المعارف آنذاك وبذل جهودا جبارة لإعطائها شكلا ملموسا لتصبح في متناول كل باحث ودارس وطبعتها دائرة المعارف العثمانية عام ١٩٦٤م.

وذكر المحقق الأهداف التي جعل نُصُبُ عينيه عند كتابة الحواشي والتعليق والتصحيح قائلا وهي تصحيح الأغلاط الهجائية والكلمات المحرفة بقدر المستطاع، وضبط الأسماء غير المألوفة، وهي كثيرة في الكتاب، وقال: "إني ضبطتها مستندا إلى تاج العروس للزبيدي البلغرامي، وضبط أسماء الأمكنة وصفتها. ومقارنة مواد المنمق بمثلها في الكتب الأخرى، وتصحيح أغلاطها وإصلاح نقص مضمون المواد بها، والإشارة إلى اختلاف نص الروايات المماثلة نثرا ونظما في المراجع الأخرى وإلى أخطائها إذا وجدت، وشرح غوامض النص، واستمددت في هذا بأمهات القواميس ولاسيما تاج العروس.

جائزے

أما الاستعراضات والتحليلات العلمية الأدبية في قضايا تاريخية المعروفة باسم "جائزے" فإنها تتكون من ١٨ مجلدا ضخما، منها المجلد الأول إلى ١١ و١٥ مطبوعة وبعضها مكتوبة بخط يد المؤلف. ما أثارت جدلا كثيرا وضجة شديدة ضدّه في

الأوساط العلمية في سائر أرجاء القارة الهندية عندما قام بطباعتها أولا بشكل مقالات في مجلة "برهان" الشهرية لصاحبها الشيخ عتيق الرحمن العثماني. والحق أحق أن يقال إن المؤلف بذل أقصى مجهوداته في سبيل إنجازاته العلمية المكثفة في هذا الكتاب وقام بتحليلات وتصحيحات لسانية ولغوية وجغرافية وتاريخية للكتب القديمة والمستندة ألفها الفقهاء والمفتيون والقضاة وكبار أصحاب العلم. واستشهد بالنثر والنظم من الكتب التي استعرضها.

وقام بتحقيق الكتب والمخطوطات والنصوص، ومراعاةً لمبادئ التحقيق وقواعده كان يعد الفهارس للأشخاص والقبائل والأماكن والكتب وما إليها في جميع ما تناوله للتحقيق والبحث. وكتبه التاريخية تحتوي الخرائط التي كثيرا ما كان يرسمها بقلمه. وشَكَلَ جميعَ الكلمات الغريبة التي تطرقت إلى كتبه.

بذل الأستاذ جهدا جهيدا قبل أن يصل عمله هذا إلى يد قرائه، ورجع إلى العديد من المصادر والمراجع، منها الكتب التاريخية والأدبية والنقدية، وإلى كل ما كتب في هذا الموضوع أو حوله.

في الحقيقة إن القارئ لهذه التحليلات القيمة، يقف مبهورا أمام سرد البيان ودقة النظر وتسلسل الحديث فيها.

والحق أن الأستاذ خورشيد أحمد فارق لم ينل شعبية وشهرة وذلك لصراحته وتمسكه بآرائه ولعدم انتمائه إلى أي مدرسة فكرية. والدليل على ذلك أن العالم الجليل أبا الحسن علي الندوي رحمه الله والأستاذ شمس تبريز قد ألحقا ملحقا في نهاية "الثقافة الإسلامية في الهند" للعلامة عبد الحئ الحسني، المطبوعة مرة ثانية في دمشق عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م (من صفحة ٣٥١ إلى ٤١١) بعنوان ملحقا لأهم الكتب التي ألفت بعد حياة المؤلف. وذكرا فيه كتبا عربية وفارسية وأردوية مخطوطة ومطبوعة لكل من هب ودب. ومن الغريب أنهما لم يذكرا أي كتاب للدكتور فارق.

ولا شك في أن مؤلفاته كلها تبعث في نفس القارئ إعجابا بهذا الكاتب الذي بلور لنا تلك المعلومات القيمة في أسلوب شيق. كما أنها تصور شخصيات وأماكن بكل دقة

وصراحة وجعلها قريبة من قلوب الناس. فإنه لم يترك الأحداث المذكورة في كتبه جافة بل أدخل فيها ما يخفف من حدتها، من وصف جميل للكتب، والأشخاص والأماكن، فالقارئ لأعماله مهما كانت عن التاريخ الإسلامي أو الأدب العربي يشعر بمتعة في قراءتها كما يشعر بمتعة عند قراءة الأعمال الأدبية الأخرى، وذلك لأنه صاغ جل أعماله في أسلوب متميز، ولم يجعلها تقتصر على ناحية خاصة فحسب بل جعلها موسوعة رائعة حشد فيها آلافا من الأحداث والشخصيات وفتح بابا جديدا للبحث والتحقيق. كأن المتنبي قال عنه:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وعلى وفاته في الخامس عشر من شهر نوفمبر عام ٢٠٠١م قرض الأستاذ شفيع الرحمن الذي كان أستاذا مشاركا في القسم حينذاك قصيدة رائعة نالت قبولا حسنا في الأوساط العلمية ووصف فيها وصفا وجيز لسجاياه ومزاياه، فلابد من أن ننقلها هنا ليستفيد منها كل من يحب اللغة العربية.

قصيدة في رثاء الأستاذ المبجّل الدكتور خورشيد أحمد الفارق

د. شفيع الرحمن

جرت أدمع من عيني المتظام بجور الزمان الغاشم المتحكم
و بتنا على شوك القتاد تململا لهول سرى نحو البلاد كأرقم
رأيت المنايا كم تجول لبشرة تصول على أهل العلوم كضيغم
تجول كجبار تمر بسرعة لإطفاء نور العلم من كل مضرم
فلمّا نعى الأستاذ شمس علومنا رأينا طموس العلم مثل المعالم
فقالوا نُعي من كان عند ذوي الحجى سميّ الذكا مثل السها بتسنم
فصاروا سكارى مذهلين لهوله كيوم الجزا يوما هديت لانضم
لنا فلما جلسنا للرثاء جلا بحوث ونقد والنصوص بمأتم
فخرت دموع العين لم تتمنع عن الهمي مزجا بالدم المتضرم
فنبكى وتبكى لا تزال دموعنا تسيل كسيل دون أي تلعثم

فمن ذا يعاني في انتقاد نصوصنا و من ذا ينمّي منزه المتعلم
و من ذا يجلّي حسه بفسادنا و شرّ لأكوان يُمرّ كعلقم
فقد كان سباقا بسيرة فارس إلى نشر علم للورى بعوالم
دليلا إلى خير الملا بفعاله نصيحا وإن أضرى بنقمة ناقم
قنوعا بلا حرص لثروة باخل أبيا بلا ذل لطالب درهم
حييا غدت عذراء عند حياءها أقل حياء منه دون توهم
لزوما بحق لم يكن متملقا قؤولا لحق رغم لومة لائم
بحرف تدلّى وادّنى لخليفة غدا مدحضا للباطل المتحكم
يبوح صريحا لا يخاف، برأيه و إن بات إرصادا لكل مظالم
و لو ابتغيت الفلسفات وجدتها لديه وما قول لديه بمرغم
فأغضيت عن باب يطول بذكره فصول وما ان عدت غير مذمم
سميّا لشمس أشرقت ببنانه عوالم علم نيّر غير مظلم
دؤوبا على تلقين كلّ مبادئ يعول عليها دائما بتبسم
وفيا كريما عند كل مجالس فلم تبطل الأوقات عند تعلم
فمن ذا يعاني فيه دون شكاته و من ذا يداري فيه دون تبرم
فويلا لموت قد أتى متدهدها لتقويض تعليم هوى كمخيّم
و ويلا له لما جرى متعمدا لتبديد شمل شكلة المتجهم
و قد خففت أحزاننا حيث أننا وجدنا تراثا منه عند معلم
غدا إرثه علما هنا متجسدا بفيناننا، واها له كمقسّم
فعطشى لعلم قد يجولون حوله و نعمى بعلم زاخر بمغانم
فصبر جميل للأسى وضرابه بشكل تبدى بالبكا كل عالم

* * *

الشيخ محمد عبده رائد النثر العربي الحديث

د. طارق أحمد آهنغر
الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها،
بجامعة كشمير سرينغر

د. عبد الحميد لون
رئيس القسم اللغة العربي،
الكلية الحكومية للبنين، بلوامة

لا شك في أن الشيخ محمد عبده كان علما من أعلام النهضة الإسلامية وقائدا من قادة الفكر العربي وزعيما من زعماء الإصلاح المصري ومجددا دينيا أراد أن يبسط الإسلام ويرده إلى ينابيعه الأولى ويبث في نفوس سائر المسلمين شعورا دينيا عاليا وفكرا أخلاقيا نقيا، وأنه أيقظ الشعور الديني الإسلامي ليس في مصر فحسب بل في سائر البلاد الإسلامية وأخذ إصلاح اللغة العربية والآداب أداة فعالة لتحقيق مشاريعه الإصلاحية.

نبذة عن حياته

ولد الشيخ محمد عبده في بيت حسين خير الله سنة (١٨٤٩م) في أسرة فلاحين بقرية " حصة شبشير" فهي إحدى قرى المديرية الغربية بمصر،[١] فأرسله أبوه في طلب العلم على بعض القراء المشهورين إلى الجامع الأحمدي في طنطا، وقضى فيه عامين، وكانت دراسته فيه قليل الفائدة بكون منهج الدراسة غارقا في الجمود والرقود. وطريقة التعليم تعتمد على المصطلحات النحوية والفقهية ولا يهتمون بأي اهتمام للتفهيم ما يدرسون.[٢]

انقطع الشيخ محمد عبده عن الدرس مدة غير كثيرة حتى صادف بشيخ صوفي الشيخ درويش وهو خال أبيه٥، هو الّذي حوّل محمّد عبده من بغيض الكتب ومطالعتها إلى حبيبها وهو الّذي فرق عنه جميع الهموم ولم يبق له إلاّ هم واحد، وهو أن يكون كامل المعرفة وكامل أدب النفس، وهو الّذي أخرجه في بضعة أيام من سجن الجهل إلى فضاء المعرفة ومن قيود التقليد إلى إطلاق التوحيد ومن الظلمات إلى النور

---

[١] السيّد تقي الدين السيّد: محمّد عبده أديبا وناقدا، ١٩٨٩م ص: ٢١

[٢] تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، ج: ١، ص: ٢٠

كما صرح عنه الشيخ قائلا: "وهو الشيخ درويش مفتاح سعادتي، إن كانت لي سعادة في هذه الحياة الدنيا، وهو الّذي ردّ لي كان غاب من غريزتي، وكشف لي ما كان خفي عني مما أُودع في فطرتي". [١]

ورحل عبده بعد ذلك إلى الأزهر فحضر دروس كبار العلماء في مختلف العلوم الأزهرية مع الاشتغال بالتصوف وما زال يتعلم في هذا المعهد حتى قدم السيد جمال الدين الأفغاني بمصر سنة ١٨٧١ م وتلمذ عليه الشيخ وتأثر به تأثرا عميقا ويقال كان لقاء السيد جمال الدين الأفغاني أهم حادث في تربية الفتى الناشئ محمد عبده لأنه رده إلى سجيته وأقامه على جادة العلم والعمل التي استقام عليها بعد ذلك.[٢] كما تأثر السيد جمال الدين الأفغاني أيضا بذكاء محمد عبده ولياقته الموهوبة. حتى قال أفغاني بنفسه عنه وهو مفارق مصر: "إني خلفت في مصر خيرا كثيرا في علم الشيخ محمد عبده"، [٣]

محمد عبده رائد النثر الحديث

إن الشيخ محمد عبده بدأ حياته الأدبية والعلمية منذ كان طالبا، هو العصر الذي كان النثر العربي في حالة الانحطاط والجمود منذ زمن بعيدة من نحو الأسلوب والموضوع والفكر وغير ذلك، توجد فيه السجع والبديع والتراكيب المعقدة وصار الأدب في هذا العصر متأثرا كثيرا بتصنع وتكلف وتشبيهات موزونة، فأصبح الأدب العربي ضعيفا بقول عبد الجواد سليمان: "النثر في هذا الزمان قد أسف أسفا شديدا وضعف ضعفا لا حد له."[٤]

أسباب الجمود والتخلف الأدبي في مصر

وربما كان لهذا الجمود أسباب عديدة ولا أرى فيها إلا السببين الرئيسيين:

---

[١] ديوان النهضة الإمام محمّد عبده، ص: ٢٣٦

[٢]. تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص ٤٢٦.

[٣] نفس المرجع: ص ٤٢٥.

[٤] نفس المرجع: ص ٤٢٦.